

فطر

النوابين

إعداد

عبد العزيز سيد هاشم

منبر
التوجيه والإصلاح

بسم الله الرحمن الرحيم

ما أجهل أن يسارع المسلم إلى التوبة ويحافظ عليها ! فالله سبحانه يفرح بتوبة عبده إليه .
 والتوبة هي اعتراف الإنسان بذنوبه ومعاصيه ، والندم عليها ، والعزم الأكيد على طاعة الله سبحانه فيما هو آتٍ من العمر .
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مثل لنا في التوبة والإنابة إلى الله سبحانه ، قال صلى الله عليه وسلم : " يا أيها الناس توبوا إلى الله ، فإنني أتوب في اليوم إليه مائة مرة " [مسلم] .
 وقال في حديث آخر : " كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون " [الترمذي] .
 ويدعونا الله سبحانه في القرآن الكريم إلى التوبة ، ويبين أن فيها الفلاح والنجاح ، فيقول تعالى : (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [النور : ٣١] .
 والمسلم التائب من ذنوبه يكون قريباً من الله ، يبتغي ما عنده من الثواب ، ويتمتع بقلب نقي صافٍ ، لا يعكره ذنب .
 وهذا الكتاب - قصص التوابين - دعوة لكي نسارع إلى التوبة ، ونجعلها خُلُقاً لنا على الدوام .



توبة آدم

خلق الله سبحانه آدم - عليه السلام - وزوجته حواء ، وأسكنهما الجنة .
 وأراد الله أن يختبرهما ؛ فأباح لهما الأكل من جميع ثمار الجنة وأشجارها ، إلا شجرة واحدة أمرهما بالابتعاد عنها .
 ولكن الشيطان ظل يوسوس لآدم ، ويزين له المعصية ، ويدفعه إلى الأكل من الشجرة ، ويحلف له أن تلك الشجرة ستمنحه الخلود في نعيم الجنة .
 فنسى آدم عهده مع الله سبحانه ، وأطاع الشيطان ، وأكل هو وحواء من ثمار تلك الشجرة .
 ولما أكلا منها شعرا بالندم والحزن الشديد على عصيانهما لأمر الله .
 وزاد حزنهما حينما أمرهما الله سبحانه أن يهبطا من الجنة ويتزلا إلى الأرض .

وظل آدم وحواء يبيكان ويطلبان من الله سبحانه أن يغفر لهما ذنبهما وأن يسامحهما ويعفو عنهما . وظلا يقولان : (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الأعراف : ٢٣] . فقبل الله سبحانه وتعالى توبتهما ، وتجاوز عن خطئتهما .



المخلفون الثلاثة

أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يستعدوا لغزوة تبوك ، فسارع المسلمون بالاستعداد ، وتحركوا جميعاً للجهاد في سبيل الله ، ولم يتخلف عن هذه الغزوة سوى الضعفاء والمرضى والمنافقين .

وتأخر كعب بن مالك عن الخروج مع الجيش ظناً منه أنه سوف يركب فرسه في الصباح ، ويلحق بجيش المسلمين ، لكنه تكاسل وتباطأ حتى أصبح الجيش بعيداً عنه ، فظل في المدينة مع من تخلف عن الجهاد . وندم كعب ندماً شديداً على تخلفه عن الجهاد ، وظل يبكي حزناً على ما فاته من الخير والثواب .

ولما رجع المسلمون من الغزوة ، دخل الرسول صلى الله عليه وسلم المسجد فصلى فيه ركعتين ، وجاءه المتخلفون يعتذرون إليه عن عدم خروجهم إلى الجهاد . ودخل كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعتذر إليه كما اعتذر غيره ، لكنه لم يستطع الكذب على رسول الله ، فاعترف بذنبه ، وبأنه ليس له عذر في تخلفه عن الجهاد .

فلما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك منه ترك أمره لله سبحانه يقضي فيه بما يشاء ، وأمر المسلمين ألا يكلموه ولا يحدثوه أبداً .

وفعل الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك مع رجلين آخرين ، هما : مُرارة بن الربيع وهلال بن أمية ، حيث قالوا الصدق أيضاً ، ولم يكذبا عليه صلى الله عليه وسلم .

وترك المسلمون هؤلاء الثلاثة فلم يكلموهم أو يحدثوهم ، حتى اشتد ذلك على هؤلاء الصحابة ، وأحسُّوا أنهم في سجن ، وأن الأرض قد ضاقت عليهم ، وظلوا على تلك الحال خمسين يوماً ، حتى نزل القرآن الكريم يبشر هؤلاء الثلاثة : كعب ، وهلال ، ومرارة بقبول الله توبتهم ورضاه عنهم . [متفق عليه] .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ قَوْلَهُ تَعَالَى : (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [التوبة : ١١٨] .



الحسنة تذهب السيئة

وسوس الشيطان إلى رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حتى قَبِلَ امرأة لا تحل له ، ثم ندم على ذلك ندماً شديداً .

فذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحكى له ما حدث ، فلم يَرُدَّ عليه صلى الله عليه وسلم .

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنها - حاضراً ، فقال للرجل : لقد سترك الله . لو سترتَ نفسك .

فقام الرجل وانطلق ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم خلفه رجلاً يدعوه .

فلما جاء تلا عليه النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية : (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) [هود : ١١٤] .

فأراد أحد الحاضرين أن يعرف هل ما جاء في الآية حكم خاص بالرجل المذنب أم حكم عام ، فقال : يا رسول الله ، هذا له خاصة ؟ أم للناس كافة ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " بل للناس كافة " [مسلم] .



ادعوا لأخيكم

يُحْكِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ كَانَ يَأْتِي إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَعَابَ عَنْهُ مَدَّةً ، فَسَأَلَ عُمَرَ عَنْهُ ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ عَصَى اللَّهَ وَشَرِبَ الْخَمْرَ .

فدعا عمر كاتبه ، وقال له : اكتب . من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان . سلام عليك .
فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذا الطول . لا إله إلا هو
إليه المصير .

ثم قال لأصحابه : ادعوا الله لأخيكم أن يُقبل بقلبه ، ويتوب الله عليه . فلما وصل كتاب عمر
- رضي الله عنه - إلى الرجل قرأه ، وأخذ يردد : غافر الذنب . . وقابل التوب . . شديد العقاب .
قد حذرتي عقوبته ، ووعدني أن يغفر لي .

وظل يردد ها ويكي ، ثم ترك ما كان يفعله من المعاصي ، وتاب توبة صادقة إلى الله سبحانه ،
ولما بلغ ذلك عمر ، قال : هكذا فاصنعوا ، إذا رأيتم أحماً لكم زلَّ زَلَّةً فسددوه ووثقوه (ساعدوه
على البُعد عن المعصية وانصحوه) ، وادعوا الله له أن يتوب عليه ، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه .
[أبو نعيم في الحلية] .



توبة المغني زاذان

يُحكى أن الصحابي عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - كان يمر ذات يوم في أحد شوارع
الكوفة ، فوجد مجموعة من الفتيان يشربون الخمر ، ويجتمعون حول مغنٍّ حسن الصوت اسمه " زاذان "
" . فلما رأى ابن مسعود هذا المنظر ، ذهب إليهم ، وكسر إناء الخمر . ثم التفت إلى زاذان ، وقال
له : ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله تعالى . ثم مضى ابن مسعود وتركهم .

ولما انصرف ابن مسعود ، سأل زاذان الناس : مَنْ هذا ؟

فقالوا : عبد الله بن مسعود ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فسأل : وأي شيء قال ؟

قالوا : إنه قال : ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله تعالى .

فأسرع زاذان ، ولحق بابن مسعود ، وظل يكي ، ويعلن توبته إلى الله سبحانه ، ورجوعه عن
الغناء ومجالس الخمر .

فاتحضنه عبد الله بن مسعود ، وبكى هو الآخر ، ثم قال : كيف لا أحب من قد أحبه الله
تعالى ، فتاب إلى الله عز وجل من ذنوبه؟!!

وظل زاذان ملازماً لابن مسعود حتى تعلم القرآن الكريم وحفظه ، وتعلم علوم الدين ، وروى الحديث عن ابن مسعود وغيره من الصحابة ؛ فصار من كبار العلماء . [ابن عساكر] .

فما أجمل أن يندم المذنب على ذنبه ؛ فيتركه ويبادر بالتوبة إلى ربه ! يقول تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ وَلَا يُلَاحِظْ أَسْفَهَاتِهِ يُغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّهُ يَعْلَمُ خَيْرًا وَيَعْلَمُ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَنْتَهِبَ يَدَيْهِمْ وَيَخَذَلُهُمْ فِي بَآئِنٍ مِنْ أَبْطَانِ النَّارِ يَوْمَ يُبْعَثُونَ قُلِ اتَّبِعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَاتَّبِعُوا أَمْرَ رَسُولِهِ وَلَا تُلَاحِظُوا أَسْفَهَاتِهِ إِنَّهُ كَانَ ذَا ذِكْرِ عِلْمٍ عَظِيمٍ) [آل عمران : ١٣٥ - ١٣٦] .



باحث عن التوبة

في قديم الزمان ، قتل رجل تسعة وتسعين شخصاً ، وأراد أن يتوب إلى الله سبحانه ، فبحث عن عالم يسأله عن التوبة إلى الله ، فدلّه الناس على راهب يعبد الله ، فذهب إليه ، وقال له : لقد قتلت تسعة وتسعين شخصاً ، فهل لي من توبة ؟ فقال الراهب : لا . فاغتاظ الرجل من الراهب ، فقتله ، وأكمل به المائة .

لكنه ندم بعد ذلك ندماً شديداً ، وأراد أن يتوب ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ليدله على طريق التوبة ، فأرشده الناس إلى عالم ، فذهب إليه ، وأخبره أنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة ؟ فقال له العالم : نعم . ومن يحول بينك وبين التوبة !؟

ثم أرشده العالم إلى الذهاب إلى أحد البلاد ليعبد الله فيها مع أهلها الصالحين ، فقال له : انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناساً يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك ، فإنها أرض سوء .

فرح الرجل ، وانطلق إلى تلك البلد وكله شوق إلى التوبة ، وبينما هو في منتصف الطريق ، مات ، فحضرت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، كلٌ يريد أن يكتب الرجل في سجله ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مُقبلاً بقلبه إلى الله تعالى . وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط .

فأرسل الله - سبحانه - إليهم ملكاً في صورة آدمي ليحكم بينهم ، فأمرهم أن يقيسوا المسافة بين البلدين ، ويجعلوه من أهل البلد التي يكون إليها أقرب .

فقاوسا المسافة ، فوجدوه أقرب إلى البلدة الصالحة ، فأخذته ملائكة الرحمة . [متفق عليه] .

توبة ماعز

كان ماعز بن مالك - رضي الله عنه - متزوجاً ، فأذنب ذنباً عظيماً ؛ وزني بامرأة .
 فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له : يا رسول الله ، إني ظلمت نفسي ،
 وزنيتُ ، وإني أريد أن تطهري . فردّه الرسول صلى الله عليه وسلم .
 فجاء ماعز في اليوم التالي ، وقال : يا رسول الله إني زنيتُ . فردّه الرسول صلى الله عليه
 وسلم .
 ثم جاء مرة ثالثة واعترف بذنبه ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقامة الحد عليه -
 وحد الزاني والمتزوج أن يُقذف بالحجارة حتى الموت - فحفروا له حفرة ورجموه .
 وبعد أن مات ماعز ، اختلف الناس في أمره ؛ فقال بعضهم : إن ماعزاً قد هلك بسبب فعلته
 وخطيئته .
 وقال آخرون : إنه تاب توبة صادقة مخلصه .
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لقد تاب توبة لو قسّمت بين أمة لو سعتهم " [مسلم] .



التوبة في القرآن الكريم

دعت آيات القرآن الكريم إلى التوبة ، والرجوع إلى طاعة الله سبحانه ، والابتعاد عن المعاصي
 والذنوب ؛ يقول تعالى : (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [النور : ٣١] .
 وباب التوبة مفتوح في كل وقت ، فعلى المسلم أن يبادر ولا ييأس من رحمة الله الواسعة ،
 يقول تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
 جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الزمر : ٥٣] .
 ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : " جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين
 جزءاً ، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق ، حتى ترفع الفرس حافرها
 عن ولدها خشية أن تصيبه " [البخاري] .

فإن الله سبحانه وتعالى غفور رحيم ، وهو التواب الذي يقبل التوبة ، ويدعو عباده إلى أن يتوبوا إليه ويستغفروه .

ويقول ربنا جل شأنه في الحديث القدسي : " يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي . يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك . يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب (بما يعادل) الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة " [الترمذي] .



وقت التوبة

على المسلم أن يسارع إلى التوبة ، ولا يؤخرها ، وإذا أذنب ذنباً تاب سريعاً ، واستغفر ربه ؛ حتى يقبل الله سبحانه منه توبته . يقول تعالى : (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ، وَكَيَسَّرَ التَّوْبَةَ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) [النساء : ١٧ - ١٨] .



شروط التوبة

للتوبة شروط يجب توافرها حتى تكون صحيحة صادقة يتقبلها الله تعالى .
* فإن كانت التوبة من معصية أو ذنب بين العبد وبين الله تعالى ، ولا تتعلق بحق آدمي ، فمن شروطها :

- أن يُقلع العبد ويكف عن المعصية .
- أن يندم ندماً شديداً على فعلها .
- أن يعزم على عدم العودة إليها مرة ثانية .

- أن يؤمن بتحريم الذنب ، ويجدد الإيمان بالله وشرائعه ، ويكثر من العمل الصالح ؛ حتى يزيل آثار الذنب .

قال تعالى : (إِيَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) [الفرقان : ٧٠] .

* أما إذا كانت التوبة من معصية تتعلق بحق إنسان آخر ، فيضاف إلى الشروط السابقة شرط آخر ، وهو أن يبرأ من حق صاحبها ؛ فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه وطلب عفوّه . وإن كانت غيبة طلب منه أن يسامحه . واستغفر له ، حتى يرى أنه قد وفاه حقه .

* * *

أمور تعين على التوبة

من الأمور التي تعين المسلم على التوبة ، والبُعد عن المعاصي :

* الخوف من الله - سبحانه - واستحضار عظته وقدرته .

* تذكر عقاب المذنبين والعصاة يوم القيامة .

* توقع العقاب في الدنيا على ما يرتكبه الإنسان من الذنوب والآثام .

* اختيار الأصدقاء الصالحين ، والبُعد عن رفقة السوء .

* * *

فوائد التوبة النصوح

التوبة النصوح هي التوبة الصادقة الجازمة التي تمحو ما فعله الإنسان من السيئات . وللتوبة

النصوح فوائد كثيرة ، منها :

* يتعد المذنب عن الشر والذنب فلا يرجع إليه .

* يظل المذنب خائفاً من ربه فلا يجترئ على المعصية .

* لا تجعل المذنب يفتخر ويعجب بذنبه بعد توبته .

* يكتسب حب الله سبحانه ؛ فالله يحب التوابين .

* يبدل الله سيئاته حسنات ؛ إذا أخلص في توبته وعمل الصالحات .

* * *

الاستغفار

المسلم يتوب إلى الله سبحانه ويستغفره ، يقول تعالى : (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) [النصر : ٣] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من الاستغفار ؛ يقول عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - : كنا نعدُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة : " رب اغفر لي ، وتب عليّ ، إنك أنت التواب الرحيم " [الترمذي] .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : " من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ، ومن كل هم فرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب " [أبو داود] .

ويقول صلى الله عليه وسلم : " يا أيها الناس ، توبوا إلى الله ، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة " [مسلم] .

* * *

سيد الاستغفار

قال صلى الله عليه وسلم : " سيد الاستغفار : اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت . أعوذ بك من شر ما صنعت . أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت " [البخاري] .

وفي الختام ، ندعو الله أن يجعلنا من عباده الذين إذا أذنبوا ذنباً ذكروا الله ، واستغفروا لذنوبهم ، وعادوا إلى الله تائبين .

انتبهال التوحيد

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على إمام المرين .. المبعوث رحمة للعالمين .. سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذناهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم ..

وإيماننا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي ، هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا مؤخرًا بإنشاء هذا القسم الهام .. والذي نسأل الله أن يكون عونًا لكافة إخواننا وإخواتنا في تنشئة هذا الجيل الفريد..

فإلى أشبال التوحيد .. نهدى هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد.



منبر التوحيد والجهاد

* * *

http://www.tawhed.ws
http://www.alsunnah.info
http://www.abu-qatada.com